النظرية البنائية في إعادة قراءة العلاقات العربية -الغربية بعد الربيع العربي

م.د. خالد فرهود جديم

جامعة ذي قار – كلية الإعلام

تُعدّ النظرية البنائية من أبرز النظريات في العلاقات الدولية التي تركز على دور الأفكار والقيم، والهوية، والثقافة، والخطاب في تشكيل العلاقات بين الدول، بدلًا من الاقتصار على المصالح المادية أو القوة الصلبة كما في الواقعية والليبرالية، وبعد أحداث "الربيع العربي"، تشهدت العلاقات العربية-الغربية تحولات معقدة، حيث برزت أدوار جديدة للفاعلين غير الدوليين، وتغيرت سرديات الهوية و الآخر، مما يجعل من الضروري إعادة قراءة هذه العلاقات من منظور بنائي، إذ يساعد المنظور البنائي على فهم كيف تؤثر الهويات الجديدة التي تشكلت في أعقاب الثورات العربية، والخطابات المتبادلة بين الشعوب والحكومات، في طبيعة العلاقة مع الغرب، فعلى سبيل المثال، غيّرت ثورات 2011 من صورة "الشارع العربي" في الغرب، ودفعت بعض الدول الغربية إلى إعادة النظر في سياساتها تجاه الأنظمة الحاكمة، لذلك أحداث الربيع العربي واحدة من أهم الأحداث الأمنية والسياسية في القرن الحادي والعشرين، لما تعاني الشعوب العربية، وصعود الاحتجاجات العربية لتغيير الأنظمة الحاكمة التقليدية، وبعض الأنظمة حدث تغيير سلمي كما في تونس، وبعضها حدث تدخل خارجي عسكري مثل ليبيا، وأما بعض الأنظمة فقد واجهت المعارضين بالقوة العسكرية واستمرت أكثر من عقد لمقاومة شعبها كسوريا.

الكلمات المفتاحية: النظرية البنائية، العلاقات العربية الغربية، الربيع العربي، الأنظمة الحاكمة.

Structural Theory in Rereading Arab-Western Relations after the Arab Spring

Dr. Khalid Farhood Jdaem

University of Thi Qar - College of Media

Constructivist theory is one of the most prominent theories in international relations that focuses on the role of ideas, values, identity, culture, and discourse in shaping relations between states, rather than being limited to material interests or hard power, as in realism and liberalism. Following the events of the "Arab Spring," Arab-Western relations underwent complex transformations, with new roles for non-state actors emerging and narratives of the "other" identity changing. This makes it necessary to re-read these relations from a constructivist perspective. A constructivist perspective helps understand how the new identities that emerged in the wake of the Arab revolutions, and the discourses exchanged between peoples and governments affect the nature of relations with the West. For example, the 2011 revolutions changed the image of the "Arab street" in the West and prompted some Western countries to reconsider their policies toward ruling regimes. Therefore, the events of the Arab Spring are one of the most important security and

political events of the twenty-first century, given the suffering of Arab peoples and the rise of Arab protests demanding change from traditional ruling regimes. Some regimes underwent peaceful change as in Tunisia, while others underwent foreign military intervention in Libya. Other regimes, such as Syria, turned their opponents into military force and continued to resist their people for more than a decade

Keywords: Constructivist theory, Arab-Western relations, Arab Spring, ruling regimes.

الاستلام	الارجاع	القبول
2025/11/1	2025/11 / 11	2025/11/23

المقدمة

شهد العالم العربي منذ مطلع العقد الثاني من القرن الحادي والعشرين تحولات جذرية تمثلت في موجة من الانتفاضات والثورات التي عرفت إعلاميا بـ«الربيع العربي»، إذ بدأت هذه التحولات من تونس عام 2011 لتنتقل إلى مصر وليبيا واليمن وسوريا وغيرها، لتعيد تشكيل البنية السياسية والاجتماعية للعالم العربي بأكمله، وهذه التحولات لم تقتصر على الداخل العربي فحسب، بل امتدت آثارها إلى طبيعة العلاقات بين العرب والغرب، إذ وجدت الدول الغربية نفسها أمام واقع جديد غير مسبوق، يعيد صياغة مفاهيمها التقليدية عن الديمقراطية، والاستقرار، والمصلحة، والأمن، لذلك فإن الخطاب السياسي، والقيم الحضارية، والثقافية، والأفكار، لها أثر كبير في السياسة الدولية.

إن العلاقات الدولية باتت تبنى عبر الصورة الذهنية لدرجة أن أثرت تلك الصورة على الهوية الثقافية والاجتماعية والإثنية للشعوب بدرجة أكبر من المؤثرات المادية، وفي ضوء النظرية البنائية أخذ الإعلام مساحة واسعة في صناعة الخطاب الشعبي والسياسي، وهذا الخطاب عمل على تشكيل العلاقات العربية والدولية بشكل ملموس وأكثر دقة، لا سيما أن تأثير تلك العلاقات اعتمد في شكله الجديد على القاعدة الشعبية الجماهيرية، التي مثلت منطلقاً للتغير السياسي، ولمرات عديدة داخل البلد الواحد، كما في مصر على سبيل المثال لا الحصر، وهذا ما غير إلى حد كبير الصورة الذهنية للشعوب العربية في الفكر الثقافي الغربي، حتى تمكنت الهوية البنائية الجديدة من تغيير التصورات عن الشعوب العربية بأنها شعوب جامدة وخانعة إلى شعوب قادرة على صناعة مستقبل سياسي جديد، وظهرت هناك مساحات فكرية مفادها أن الاستقرار مرهون

بتطور الديمقراطية، وهذا ما حسن صورة الهوية العربية في الوعي الغربي، وأنتج على مستوى الأنظمة السياسية العربية أنظمة جديدة متأثرة بالخطاب الجماهيري في رسم العلاقات الإقليمية والدولية.

لقد مثّل الربيع العربي حدثًا بنيويا غير موازين القوة وأنماط الإدراك السياسي المتبادل بين الطرفين، ففي الوقت الذي رأت فيه بعض الدول الغربية أن هذه الثورات تعبر عن تطلعات مشروعة نحو الديمقراطية، تعاملت دول أخرى معها بوصفها مصدرا للفوضى وعدم الاستقرار، وبذلك ظهرت ازدواجية واضحة في الخطاب الغربي تجاه المنطقة العربية، ما دفع الباحثين إلى إعادة التفكير في الأسس النظرية التي يمكن من خلالها تفسير هذا التباين.

في هذا الإطار، تبرز النظرية البنائية في العلاقات الدولية بوصفها مدخلاً فكريا قادرا على تفسير هذه التحولات من زاوية غير تقليدية، فالبنائية لا تكتفي بتفسير العلاقات الدولية على أساس القوة والمصلحة المادية، كما تفعل الواقعية، ولا على أساس التعاون الاقتصادي، كما تفعل الليبرالية، بل تنظر إلى العالم الدولي بوصفه بناء اجتماعيا من الأفكار والهويات والمعاني التي تتشكل من خلال التفاعل بين الفاعلين الدوليين.

اولًا: إشكالية البحث

تكمن إشكالية البحث في التساؤل الرئيس الآتي: كيف يمكن توظيف النظرية البنائية لإعادة قراءة العلاقات العربية – الغربية بعد الربيع العربي في ضوء التحولات الفكرية والسياسية والهوياتية التي شهدها العالم العربي؟

ينبثق من هذا التساؤل عدد من الأسئلة الفرعية وهي:

1. ما المقومات الأساسية للنظرية البنائية في العلاقات الدولية؟
2. كيف أسهم الربيع العربي في إعادة بناء هوية الفاعلين العرب والغربيين؟
3. ما أوجه التغير في الخطاب السياسي المتبادل بين العرب والغرب بعد عام 2011؟

ثانيًا: أهمية البحث

تسعى أهمية هذه الدراسة من كونها تعمل إلى سد فجوة معرفية في حقل العلاقات الدولية تتعلق بتطبيق النظرية البنائية على العلاقات العربية – الغربية، وهي علاقات طالما فُسرت من منظور مادي أو أمني، كما تكتسب أهميتها من تناولها مرحلة زمنية حرجة –ما بعد الربيع العربي–

تميزت بتحولات في الهويات والثقافات وتغير في موازين القوى، وتبدّل في الخطابين العربي والغربي معا، وكما تسعى هذه الدراسة إلى تقديم قراءة تفاعلية إزاء العلاقات العربية الغربية من المنظور التقليدي إلى منظور أكثر حداثة.

ثالثًا: أهداف البحث

يهدف البحث إلى توضيح الأسس النظرية للنظرية البنائية، وأهم مفاهيمها في تفسير العلاقات الدولية، وتحليل طبيعة العلاقات العربية – الغربية بعد الربيع العربي من منظور بنائي يركز على الهويات والمعايير، ورصد التحولات في الخطاب السياسي والإعلامي المتبادل بين الطرفين بعد عام 2011، واقتراح رؤية مستقبلية للعلاقات العربية – الغربية تقوم على بناء متبادل للثقة والاحترام.

رابعًا: فرضية البحث

ينطلق البحث من هذه الفرضية الآتية:

إن التحولات التي شهدها العالم العربي بعد الربيع العربي تمثل تغيرا بنيويا في إدراك الهوية السياسية العربية والغربية من خلال:

1. أن النظرية البنائية تمكّن من تفسير هذه التحولات والتطورات لأنها تربط بين الفكر والسلوك، وبين الخطاب والممارسة العملية.
2. أن إعادة قراءة العلاقات العربية – الغربية بمنظور بنائي يساعد في تجاوز ثنائية «الهيمنة والتبعية» التي هيمنت على الفكر السياسي العربي الحديث.

خامسًا: منهج البحث

اعتمدت في البحث على المنهج البنائي التحليلي والمنهج المقارن والمنهج الوصفي، الذي يقوم على الربطِ بين البنى الفكرية والسياقات الاجتماعية والسياسية القائم على تحليل الأنظمة السياسية، ويعد هذا المنهج الأكثر ملاءمة لطبيعة الموضوع لأنه يركّز على المعاني والرموز والهويات والثقافات التي تنتجها التفاعلات الدولية، والمنهج المقارن الذي يقوم على المقارنة بين الأنظمة والشعوب الغربية والعربية، فضلاً عن المنهج الوصفي لوصف حالة المجتمعات العربية والتحولات العربية التي حدثت منذ عام 2011–2023.

سادسًا: حدود البحث

الزمانية: من عام 2011 (اندلاع الربيع العربي) حتى عام 2024 مع سقوط بشار الأسد.

المكانية: العالم العربي بشقيه المشرقي والمغاربي التي تعرضت للثورات الربيع العربي.

الموضوعية: تقتصر الدراسة على التحليل النظري والبنائي من دون الدخول في التحليل العسكري أو الاستخباراتي للعلاقات.

سابعًا: هيكلية البحث

تنطلق هيكلية البحث من ثلاثة مباحث فضلاً عن المقدمة والخاتمة، فالمبحث الأول تضمن نشأة النظرية البنائية وتطورها في حقل العلاقات الدولية، والمبحث الثاني ركز على تطبيقات النظرية البنائية على العلاقات العربية – الغربية، والمبحث الثالث كان توظيف النظرية البنائية في إعادة قراءة العلاقات العربية – الغربية بعد الربيع.

المبحث الاول: نشأة النظرية البنائية وتطورها في حقل العلاقات الدولية

ظهرت النظرية البنائية خلال الثمانينيات والتسعينيات من القرن العشرين كردّ فكري على الاتجاهين السائدين في العلاقات الدولية، وهما الواقعية والليبرالية، فبينما تركز الواقعية على القوة والمصلحة بوصفهما محركين رئيسين للسلوك الدولي، والليبرالية على المؤسسات والتعاون، جاءت البنائية لتؤكد أن الأفكار والهويات والمعايير الاجتماعية هي التي تشكّل أساس العلاقات الدولية [1].

ينسب تطور النظرية إلى عدد من المفكرين أبرزهم، ألكسندر وندت، الذي قدّم أطروحته الشهيرة "البناء الاجتماعي للسياسة الدولية"، حيث يرى أنّ النظام الدولي ليس حقيقة موضوعية قائمة بذاتها، بل هو نتاج تفاعلات بين الفاعلين الدوليين تعيد إنتاج المعاني والقيم بصورة مستمرة [2].

وقد تزامن ظهور البنائية مع نهاية الحرب الباردة، وهي الفترة التي شهدت تراجعا للمنظور الواقعي الذي لم يتمكّن من تفسير انهيار الاتحاد السوفييتي بدون صراع عسكري، هذا الحدث دفع الباحثين إلى البحث عن تفسيرات بديلة تركز على التحولات الفكرية والهوياتية، لا على القوة المادية فقط [3]، وتقوم النظرية البنائية على مجموعة من المفاهيم الجوهرية التي تميزها عن غيرها من النظريات، أهمها الهوية، والمعايير، والبناء الاجتماعي للواقع الدولي، وهي كالآتي:

أولًا الهوية: تعَد الهوية ا لمفهوم المركزي في النظرية البنائية، إذ تُعرف بأنها الطريقة التي تدرك بها الدولة ذاتها والآخرين، فالهويات ليست ثابتة، بل تبنى اجتماعيا من خلال التفاعل والخطاب، فالدول لا تتصرف بناء على مصالح مادية فحسب، بل بناء على ما تراه مناسبا لهويتها [4].

ثانيًا المعايير والقيم: تشير إلى القواعد والقيم المشتركة التي تنظم السلوك في النظام الدولي، مثل احترام السيادة، وعدم التدخل، وحقوق الإنسان، وهذه المعايير لا تُفرض بالقوة بل تكتسب بالقبول الاجتماعي.

ثالثًا البناء الاجتماعي والثقافي: هو عملية إنتاج الواقع الدولي عبر التفاعل المستمر بين الفاعلين، أي أن العلاقات الدولية ليست مادية فحسب، بل هي نتاج للخطاب واللغة والتصورات المتبادلة[5]، ومن خلال هذه المفاهيم، تقدم البنائية تفسيرا مغايرا للعلاقات الدولية؛ فهي ترى أن الأمن والمصلحة ليسا معطيين ثابتين، بل يتم تعريفهما اجتماعيا حسب الإدراك المتبادل بين الفاعلين[6]، تختلف البنائية عن الواقعية في أن الأولى ترى أن القوة ليست محددا موضوعيا للسلوك الدولي، بل تُعرَّف في ضوء السياق والمعنى الاجتماعي، فالسلاح النووي في يد حليف ينظر إليه بشكل مختلف عنه في يد خصم، لأن الهوية والعلاقة تحددان طبيعة التهديد[7].

أما مقارنةً بالليبرالية، فإن البنائية لا تركز على المؤسسات بوصفها هياكل مادية للتعاون، بل كشبكات من القيم والمعايير والقيم الثقافية والحضارية التي تعزز الثقة بين الفاعلين، فالمؤسسات في نظر البنائيين ليست أدوات، بل فضاءات لإعادة إنتاج القواعد المشتركة [8].

وقد أسهم هذا التوجه في نقل دراسة العلاقات الدولية من التركيز على "ماذا تملك الدولة" إلى " من هي الدولة وكيف ترى الآخرين"، مما فتح المجال أمام فهم أعمق للتحولات التي أعقبت الربيع العربي، إذ لم تعد التحالفات تبنى فقط على المصالح، بل على التصورات المتبادلة حول الشرعية والهوية والتهديد [9].

رابعًا نقد النظرية البنائية: رغم هذا أن النظرية البنائية حالها حال النظريات العلاقات الدولية برغم أهميتها، تواجه النظرية البنائية عددا من الانتقادات، فهي تتهم بالتركيز المفرط على البنى الفكرية على حساب العوامل المادية، إذ يرى بعض الباحثين أن تجاهل البنائية للموارد الاقتصادية والعسكرية يجعلها غير قادرة على تفسير بعض النزاعات الدولية، كما إن طبيعتها

المرنة تجعلها قابلة لتفسيرات متناقضة في بعض الأحيان، إلا أن هذه المرونة نفسها تعد نقطة قوة، إذ تتيح فهما أعمق لتعدد مستويات التفاعل بين الدول، كما إن البنائية تسهم في إدخال البعد الإنساني والثقافي إلى العلاقات الدولية، مما يجعلها أكثر قدرة على تفسير العلاقات العربية – الغربية التي تمتزج فيها العوامل المادية بالرمزية والتاريخية [10].

يمكن القول إن النظرية البنائية توفّر إطارا غنيا لفهم العلاقات الدولية، لأنها تدمج بين العقلانية والمعيارية، وبين السياسة والفكر، وتظهر كيف تعاد صياغة المصالح والهويات عبر التفاعل المستمر بين الفاعلين، وفي المحصلة، يمكن القول إن النظرية البنائية توفّر إطارا غنيا لفهم العلاقات الدولية، لأنها تدمج بين العقلانية والمعيارية، وبين السياسة والفكر، وتظهر كيف تعاد صياغة المصالح والهويات عبر التفاعل المستمر بين الفاعلين.

لهذا خلص هذا المبحث إلى أن النظرية البنائية تمثل إطارا تفسيريا متكاملاً لفهم العلاقات الدولية لأنها تدمج بين البنية المادية والمعنوية، ومن خلال تحليلها لمفاهيم الهوية والمعايير والخطاب، يمكن فهم التحولات العميقة التي طرأت على العلاقات العربية – الغربية بعد الربيع العربي، لقد أظهرت البنائية أن هذه العلاقات ليست وليدة المصالح الظرفية، بل هي نتاج تاريخ طويل من التفاعل الثقافي والسياسي، وسيمهد هذا الأساس النظري لمناقشة التحولات البنيوية التي شهدتها المنطقة.

المبحث الثاني: تطبيقات النظرية البنائية على العلاقات العربية – الغربية

تظهر البنائية أن العلاقات العربية – الغربية ليست مجرد تبادل مصالح سياسية واقتصادية، بل شبكة معقدة من التصورات والهويات التاريخية، فقد أسهم الاستعمار الأوروبي، ثم مرحلة الحرب الباردة، في تكوين تصورات متبادلة راسخة، فالغرب يرى في العرب منطقة تحتاج إلى التحديث، والعرب يرون في الغرب رمزا للهيمنة الثقافية [11].

بعد الربيع العربي، تغيرت هذه التصورات بصورة ملحوظة، فظهرت في الخطاب العربي نزعة لإعادة تعريف العلاقة مع الغرب من موقع الندية لا التبعية، بينما انقسم الخطاب الغربي بين تأييد شكلي للتحولات الديمقراطية، وتخوف من صعود الإسلام السياسي، وهنا تبرز أهمية البنائية في تفسير هذه التحولات عبر تحليل كيفية إنتاج الخطاب السياسي والمعاني الهوية والمصلحة [12].

توضح البنائية أن العلاقة بين العرب والغرب لا تفهم إلا عبر دراسة البنى المعنوية المتبادلة التي تحدد سلوك كل طرف، فالدعم الغربي للأنظمة أو المعارضة لها لا يفسَّر فقط بالمصلحة، بل بمدى توافق سلوك هذه الأنظمة مع القيم والمعايير التي يراها الغرب مقبولة [13].

إن النظرية البنائية توفّر إطارا غنيا لفهم العلاقات الدولية، لأنها تدمج بين العقلانية والمعيارية، وبين السياسة والفكر، وتظهر كيف تعاد صياغة المصالح والهويات عبر التفاعل المستمر بين الفاعلين، لأنها تدمج بين البنية المادية والمعنوية، ومن خلال تحليلها لمفاهيم الهوية والمعايير والخطاب، يمكن فهم التحولات العميقة التي طرأت على العلاقات العربية – الغربية بعد الربيع العربي، ولقد أظهرت البنائية أن هذه العلاقات ليست وليدة المصالح الظرفية، بل هي نتاج تاريخ طويل من التفاعل الثقافي والسياسي، وسيمهد هذا الأساس النظري لمناقشة التحولات البنيوية التي شهدتها المنطقة [14].

من منظور النظرية البنائية، يمكن عد الربيع العربي حدثًا بنيويا لأنه أعاد تشكيل الهوية السياسية للعالم العربي، وأدى إلى إعادة بناء معاني الشرعية والسيادة والمواطنة، فالثورات العربية لم تكن مجرد حراك سياسي، بل عملية إعادة إنتاج للمعنى الاجتماعي للسلطة والدولة والعلاقة مع الآخر [15]، ولقد كان للغرب دور محوري في التفاعل مع هذه التحولات، ففي البداية رحبت العواصم الغربية، خصوصا واشنطن وباريس، بما وصفته "ثورات ديمقراطية"، لكنها سرعان ما أعادت النظر في مواقفها حين صعدت القوى الإسلامية إلى الحكم في تونس ومصر، وهكذا، كشفت الأحداث عن تعارض بين الخطاب الديمقراطي الغربي والممارسة السياسية الفعلية، وهو ما يفسره المنظور البنائي بأنه نتيجة لتغير إدراك الغرب لهوية الفاعلين الجدد في المنطقة [16].

لهذا يعد الربيع العربي من أبرز التحولات التاريخية التي عرفها النظام العربي منذ نهاية الحرب الباردة، فقد غير هذا الحدث التوازنات الداخلية في عدد من الدول العربية، وأحدث تصدعا في النظام الإقليمي العربي التقليدي الذي كان يقوم على استقرار الأنظمة أكثر من استقرار الشعوب[17] ومن ثم أدت الثورات العربية إلى إعادة تعريف الهوية السياسية والاجتماعية في المجتمعات العربية، فبعد عقود من سيطرة الأنظمة السلطوية، برزت مطالب الحرية والعدالة والكرامة كمحددات جديدة للهوية العربية، وهذه القيم مثّلت تحولًا بنيويا في الوعي الجمعي العربي، وأعادت بناء العلاقة بين المواطن والدولة [18].

توضح النظرية البنائية أن الهوية لا تُفرض من الأعلى، بل تُبنى من خلال التفاعل الاجتماعي والسياسي، لذلك، فإن الربيع العربي أعاد تشكيل الذات العربية عبر إعادة إدراكها لذاتها وللآخر –أي الغرب– في الوقت نفسه. لم يعد الغرب الأنموذج المثالي للتقدم، كما في فترات التحديث السابقة، بل أصبح ينظر إليه بوصفه شريكًا متناقضا يدعم الديمقراطية خطابا ويقف ضدها ممارسة [19].

إن التحول في الهوية السياسية بعد 2011 لم يكن داخل العالم العربي فقط، بل مس إدراك الغرب لهوية "العرب" أيضا، إذ بات الغرب ينظر إلى المنطقة من زاوية "المخاطر" المرتبطة بالهجرة والإرهاب، بدلًا من زاوية التعاون الاقتصادي والثقافي [20]، ومن هنا اتسم الخطاب الغربي تجاه الربيع العربي بالتناقض الواضح، ففي حين دعمت الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي الاحتجاجات في تونس ومصر، والتزم الغرب الصمت أو الموقف الحذر في أزمات البحرين وسوريا واليمن، وهذا التناقض لا يمكن تفسيره فقط بالمصلحة، بل أيضا بالبنية المعرفية للخطاب الغربي الذي يقوم على تصور مسبق للعرب والمسلمين كـ"آخر حضاري" [21]، ومن ثم تفسر النظرية البنائية هذا التناقض بأن الخطاب الغربي هو أداة لبناء الواقع الدولي لا مجرد وصف له، فاللغة التي يستخدمها الغرب في الحديث عن "التحول الديمقراطي" أو "الفوضى الخلاقة" تسهم في تشكيل السياسات نفسها، وبهذا المعنى، يصبح تحليل الخطاب الغربي مدخلًا لفهم كيف تبنى المواقف السياسية على أساس ثقافي وقيمي أكثر منه مصلحيا؟ [22].

تجلى هذا البعد البنائي في ممارسات الغرب تجاه الثورات العربية، حيث تم استخدام مفردات مثل "التدخل الإنساني"، و"حماية المدنيين" لتبرير التدخل في ليبيا 2011، بينما غاب هذا الخطاب في أزمات أخرى لأسباب ترتبط بالتصورات الثقافية والمصالح الجيوسياسية، لذلك فإن أحداث الثورات الربيع العربي لم يعد حدث إقليمي أو داخلي إنما حدث عالمي على مستوى التحولات والتطور الخطابي أو الاقتصادي والأمني، وبروز فواعل جديدة غير دولية، من خلال التأثير الآتي:

أولًا: تأثير الربيع على الوضع الاقتصادي والأمني

لم تقتصر تداعيات الربيع العربي على الجانب السياسي، بل امتدت إلى البنى الاقتصادية والأمنية، فقد تراجعت مؤشرات التنمية في معظم الدول الربيع العربي بسبب الاضطرابات السياسية،

وتراجع الاستثمار الأجنبي، ما دفع الغرب إلى تبني مقاربات اقتصادية انتقائية تراعي مصالحه المباشرة أكثر من احتياجات الدول العربية [23].

أما على الصعيد الأمني، فقد أدى انهيار عدد من الأنظمة إلى صعود الجماعات المسلحة، ما أعاد ترتيب أولويات الغرب نحو "محاربة الإرهاب" بدلًا من دعم التحول الديمقراطي، وهذا التحول يعكس –وفقا للنظرية البنائية– تغيرا في إدراك التهديد، وليس في الوقائع المادية فحسب، إذ تحدد الهوية والمعايير الاجتماعية ما يعد تهديدا في نظر الفاعل الدولي، وهذا التغير في الخطاب الأمني الغربي جعل العلاقات مع الدول العربية تبنى على التعاون الاستخباراتي والعسكري بدل التعاون السياسي والثقافي، مما زاد من الفجوة بين الشعوب العربية والغرب [24],[25].

ثانيًا صعود الفاعلين الجدد في العلاقات الدولية

بعد الربيع العربي ظهر مجموعة من الفاعلين غير الحكوميين الذين أثّروا في العلاقات العربية – الغربية، مثل منظمات المجتمع المدني، ووسائل الإعلام الجديدة، والمنصات الرقمية، التي أصبحت أدوات لبناء القوة الناعمة العربية [26].

ومن ثم توضح النظرية البنائية أن الفاعلية في النظام الدولي لم تعد حكرا على الدول، بل صارت موزعة بين مستويات متعددة من الفاعلين الذين يملكون القدرة على تشكيل المعنى والخطاب العام، فقد أسهمت وسائل الإعلام العربية مثل الجزيرة والعربية في إعادة صياغة الرأي العام الدولي تجاه قضايا المنطقة، وهو ما جعل الغرب يعيد حساباته في إدارة الصراع المعلوماتي والثقافي [27].

كما أدت التفاعلات الرقمية العابرة للحدود إلى نشوء شبكات من الناشطين أثّرت في القرارات الغربية عبر الضغط الحقوقي والإعلامي، مما يعني أن الربيع العربي لم يكن حدثًا سياسيا فقط، بل ثورة في مفاهيم الاتصال والتعبئة والتأثير [28] ، كما أثبتت الدراسة أن تطبيق النظرية البنائية يفسر بعمق كيف تتغير إدراكات الفاعلين وتصوراتهم المتبادلة، وكيف تؤثر هذه الإدراكات في صياغة القرارات والسياسات الخارجية، فالتحول لم يكن في الأحداث فحسب، بل في المعاني التي أُعيد بناؤها حول مفاهيم مثل الحرية، والأمن، والسيادة، والشرعية.

ثالثًا: الخطاب الغربي تجاه ثورات الربيع العربي

اتسم الخطاب الغربي تجاه الربيع العربي بالتناقض الواضح، ففي حين دعمت الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي الاحتجاجات في تونس ومصر وسوريا، التزم الغرب الصمت أو الموقف الحذر في أزمات البحرين، وهذا التناقض لا يمكن تفسيره فقط بالمصلحة، بل أيضا بالبنية المعرفية للخطاب الغربي الذي يقوم على تصور مسبق للعرب والمسلمين كـ"آخر حضاري[29].

تفسر النظرية البنائية هذا التناقض بأن الخطاب الغربي هو أداة لبناء الواقع الدولي لا مجرد وصف له، فاللغة التي يستخدمها الغرب في الحديث عن "التحول الديمقراطي" أو "الفوضى الخلاقة" تسهم في تشكيل السياسات نفسها. وبهذا المعنى، يصبح تحليل الخطاب الغربي مدخلاً لفهم كيف تبنى المواقف السياسية على أساس ثقافي وقيمي أكثر منه مصلحيا [30].

تجلى هذا البعد البنائي في ممارسات الغرب تجاه الثورات العربية، حيث تم استخدام مفردات مثل "التدخل الإنساني" و"حماية المدنيين" لتبرير التدخل في ليبيا 2011، بينما غاب هذا الخطاب في أزمات أخرى لأسباب ترتبط بالتصورات الثقافية والمصالح الجيوسياسية.

المبحث الثالث: توظيف النظرية البنائية في إعادة قراءة العلاقات العربية – الغربية بعد الربيع

أظهر تحليل الخطاب السياسي والجماهيري في تلك الفترة أن الغرب بدأ ينظر إلى الشعوب العربية كقوة ضغط جديدة تتجاوز الأنظمة، في حين صار الخطاب العربي يتناول الغرب بقدر أكبر من الواقعية والانتقائية ، وبذلك تحولت الهوية من حالة تبعية إلى حالة تفاوض رمزي مستمر بين الطرفين[31].

إن العلاقات العربية – الغربية، لعبت الهوية دورا حاسما في صياغة التمثيلات المتبادلة، فالعرب لطالما رأوا في الغرب أنموذجا للقوة والتقدم، لكنه في الوقت ذاته عد مصدرا للهيمنة والتدخل، أما الغرب فقد نظر إلى العالم العربي بوصفه فضاء متأخرا حضاريا يحتاج إلى "إصلاح" أو "تحديث"، وبعد الربيع العربي، أعيد تعريف هذه الهوية المتبادلة بصورة جذرية، فقد أصبحت الشعوب العربية فاعلاً سياسيا جديدا، ما أجبر الغرب على إعادة تقييم رؤيته للمنطقة، خصوصا بعد سقوط أنظمة كانت تعد حليفة. من منظور بنائي، يمكن القول إن هذه التحولات تمثل "إعادة بناء اجتماعي للهوية" على مستوى النظامين العربي والغربي معا ذلك[32].

إن من أهم تطبيقات النظرية البنائية في تحليل العلاقات الدولية دراسة الخطاب والمعايير الاجتماعية التي تحدد ما يعد سلوكا مقبولاً أو مرفوضا في النظام الدولي، ففي مرحلة ما بعد الربيع العربي، برزت عدة معايير جديدة في الخطابين العربي والغربي، مثل مفهوم "الشرعية الشعبية"، و"الاستقرار الديمقراطي"، و"الأمن الإنساني"، وهذه المفاهيم شكلت أرضية فكرية مشتركة أعادت تعريف العلاقة بين الطرفين[33] .

تبين الدراسة أن الخطاب الغربي مر بمرحلتين الأولى مثالية رومانسية ركزت على دعم الديمقراطية، والثانية براغماتية واقعية أعادت الاعتبار للأمن على حساب القيم، وهذه الازدواجية –من منظور بنائي– تعكس صراعا داخليا في بنية المعايير الغربية ذاتها، بين ما هو قيمي وما هو مصلحي.

في المقابل، شهد الخطاب العربي تطورا ملحوظًا، إذ بدأ المثقفون العرب بتبني مقاربة نقدية للغرب، تقوم على المطالبة بشراكة متكافئة لا تبعية فكرية. وهو تحول بنائي في اللغة السياسية يعكس انتقال العرب من موقع "الآخر المعرَّف" إلى موقع "الذات المعرِفة"، أي الطرف الذي يشارك في صياغة الخطاب الدولي[34].

ومن توظيف وتطبيقات النظرية البنائية أن المصالح ليست ثابتة، بل تعاد صياغتها بناء على الإدراك والمعاني المشتركة بعد الربيع العربي، تغيرت المصالح العربية والغربية بصورة ملحوظة، فالدول الغربية أعادت تحديد أولوياتها في المنطقة وفق معايير الأمن والهجرة والطاقة، في حين بدأت الدول العربية تتجه إلى تنويع تحالفاتها الدولية نحو قوى مثل الصين وروسيا، في محاولة لبناء هوية استراتيجية أكثر استقلالا[35].

من جانب آخر، أدى إدراك الغرب لهويته الجديدة كـ"حامٍ للنظام الدولي" إلى تكريس نوع من الأبوة السياسية تجاه المنطقة، وهو ما قوبل برفض شعبي عربي واسع، أما على المستوى البنائي، فيفسر هذا التحول بأن إعادة تعريف الهوية أنتجت إعادة تعريف للمصالح، فحين تغير تصور العرب عن الغرب، تغيرت أهداف سياساتهم الخارجية، وكذلك الأمر بالنسبة للغرب تجاه المنطقة [36] ، كما إن البنائية تفسر هذا المشهد المعقد بأن المصالح ليست معطى ماديا، بل يمثل انعكاسا لرؤية الفاعلين لأنفسهم وللآخرين، وبذلك تقدم إطارا أكثر دقة لفهم العلاقات الدولية المتغيرة التي تجاوزت مرحلة "التحالفات الثابتة" نحو "التحالفات الإدراكية"[37].

وانطلاقاً من مقولات النظرية البنائية، يمكن تصور أنموذج جديد للعلاقات العربية – الغربية يقوم على ثلاثة مرتكزات أساسية وهي:

1. إعادة بناء الثقة: بناء الثقة لا يتحقق عبر المعاهدات الرسمية فقط، بل عبر تغيير الإدراك المتبادل وصياغة معايير مشتركة تلزم الطرفين بالاحترام المتبادل، فالثقة، وفق المقاربة البنائية، هي نتاج تراكم اجتماعي ومعرفي لا يمكن فرضه سياسيا[38].
2. التكافؤ في الخطاب: ضرورة الانتقال من خطاب الهيمنة إلى خطاب الشراكة الحضارية، أي أن يكون الحوار بين العرب والغرب حوارا بين ثقافتين متكافئتين تسعيان لفهم بعضهما، وليس بين مركز وهوامش [39].
3. التفاعل المستدام: يقوم على التواصل المؤسسي والثقافي بين المجتمعات، لا الاقتصار على العلاقات الرسمية بين الحكومات، ويؤكد البنائيون أن "التفاعل المتكرر يولّد المعايير المشتركة"، أي أن التواصل المستمر يعيد بناء البنية الاجتماعية للعلاقات الدولية على أسس أكثر استقرارا[40].

ومن هذا المنطلق ستواجه العلاقات العربية الغربية بتحديات ومشكلات مستقبلية منها، لهذا رغم فرص التفاهم الجديدة، تواجه العلاقات العربية – الغربية بعد الربيع العربي تحديات عميقة يمكن تحليلها وفق المنظور البنائي كما يأتي:

أولًا: أزمة الإدراك المتبادل

لا تزال الصورة النمطية المتبادلة بين العرب والغرب قائمة في الوعي الجمعي، ما يعيق بناء شراكة حقيقية.

ثانيًا: ضعف المؤسسات الإقليمية العربية

غياب الفاعل العربي الموحد يجعل من الصعب بناء موقف عربي موحد تجاه الغرب.

ثالثًا: تناقض الخطابات الغربية

تتغير مواقف الغرب بتغير الإدارات والمصالح، مما يعمق انعدام الثقة.

رابعًا: تأثير القوى الصاعدة

يؤدي تمدد النفوذ الصيني والروسي في المنطقة إلى إعادة تشكيل البنية الدولية بما يقلل من احتكار الغرب للعلاقات مع العرب[41].

الخاتمة

خلصت هذه الدراسة إلى أن النظرية البنائية تمثل إطارا تحليليا متماسكاً لإعادة فهم العلاقات العربية – الغربية بعد الربيع العربي، لأنها تبرز الدور المركزي للأفكار والهويات والخطاب في تشكيل السياسات الخارجية، لهذا ركزت النظرية البنائية على الهوية والثقافات العربية الغربية والتفاعلات فيما بينهم، كما أظهرت النتائج أن التحولات التي أحدثها الربيع العربي لم تكن سياسية فقط، بل معرفية وثقافية، غيرت الطريقة التي يدرك بها كل طرف نفسه والآخر.

وبينت الدراسة أن الخطاب الغربي يعاني من تناقض بين القيم المعلنة والمصالح الواقعية، في حين برز في الخطاب العربي وعي جديد يسعى لتأسيس علاقة أكثر تكافؤا مع الغرب، وهذا لا يعني أن العلاقات العربية الغربية لا توجه تحديات وأزمات مستقبلية على المستوى الفكري والثقافي والهيمني.

التوصيات

1. تعزيز التبادل الثقافي والأكاديمي بين العالم العربي والغرب لبناء إدراك معرفي متبادل.
2. ضرورة تطوير خطاب عربي بنائي موحد يعبر عن مصالح وهوية جامعة.
3. توظيف مفاهيم البنائية في السياسات الخارجية العربية لتقوية الحضور الدولي على أساس تفاعلي بناء لا صدامي، لذلك ترى النظرية البنائية أن المصالح ليست ثابتة، بل تعاد صياغتها بناء على الإدراك والمعاني المشتركة.

بعد الربيع العربي تغيرت المصالح العربية والغربية بصورة ملحوظة فالدول الغربية أعادت تحديد أولوياتها في المنطقة وفق معايير الأمن والهجرة والطاقة، في حين بدأت الدول العربية تتجه إلى تنويع تحالفاتها الدولية نحو قوى مثل الصين وروسيا، في محاولة لبناء هوية استراتيجية أكثر استقلالاً، ومن جانب آخر، أدى إدراك الغرب لهويته الجديدة كحام للنظام الدولي إلى تكريس نوع من الأبوة السياسية تجاه المنطقة، وهو ما قوبل برفض شعبي عربي واسع.

أما على المستوى البنائي، فيفسر هذا التحول بأن إعادة تعريف الهوية أنتجت إعادة تعريف للمصالح، فحين تغير تصور العرب عن الغرب، تغيرت أهداف سياساتهم الخارجية، وكذلك الأمر بالنسبة للغرب تجاه المنطقة، كما إن البنائية تفسر هذا المشهد المعقد بأن المصالح ليست معطى

ماديا، بل يمثل انعكاسا لرؤية الفاعلين لأنفسهم وللآخرين، وبذلك تقدم إطارا أكثر دقة لفهم العلاقات الدولية المتغيرة التي تجاوزت مرحلة "التحالفات الثابتة" نحو "التحالفات الإدراكية.

المصادر

(1) ونت, ا. (2016). البناءالاجتماعي للسياسة الدولية. (م. ابراهيم, Trans.) القاهرة: المركز القومي للترجمة.
(2)Onuf, N. (1989). World of Our Making. U.S: University of South Carolina Press.
(3) عباس, ف. (2019). النظريات المعاصرة في العلاقات الدولية. بيروت: دار المعرفة الجامعية.
(4)Social Theory of International Politics. Cambridge University Press. وندت, ا. (1999).
(5) الاشعل, ع. (2017). العلاقات الدولية: مقاربة بنائية عربية. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
(6)Raggi, J. (2000). Constructivism and International Relations. U.K: Oxford University Press.
(7) وندت, ا. (1999), مصدر سابق , ص 34.
(8)Hinnebusch, R. (2015). The International Politics of the Middle East. u.k: Manchester University Press.
(9) بلقزيز, ع. (2014). العرب والغرب: جدل الهوية والتاريخ. الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.
(10)عباس, ف. (2019), مصدر سابق , ص104.
(11) مصطفى, ن. (2018). إعادة التفكير في العلاقة بين العرب والغرب. الاسكندرية, مصر: مكتبة الإسكندرية.
(12)Hamid, S. (2016). Islamic Exceptionalism. U.K: Oxford University Press.
(13) متري, ط. (2027). العرب والغرب: مقاربة فكرية معاصرة. بيروت: دار النهار.
(14) فوزي, م. (2019). التحولات السياسية في الوطن العربي بعد الربيع العربي. القاهرة: جامعة القاهرة.
(15) ونت، 2016، مصدر سابق ,ص 40
(16) بورغا, ف. (2017). الاسلام السياسي والربيع العربي. (ن. أبو زيد, Trans.) بيروت: دار الساقي.
(17)غليون, ب. (2018). مجتمعات عربية في مواجهة التغيير. بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر.
(18) مصطفى، 2018، مصدر سابق ,ص 55.
(19) الزهراء, ف. (2020). تحولات الهوية في الخطاب السياسي العربي بعد 2011. الدوحة: المركز العربي للبحاث.
(20) Hinnebusch, 2015 ,op. cit. ,p133.
(21) سيل, ب. (2016). الشرق الاوسط الجديد والفوضى الخلاقة. بيروت: دار النهار.
(22) Raggi, 2000 ,op. cit. ,p61.
(23) البنك الدولي. (2019). تقرير التنمية في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا بعد 201. واشنطن.
(24)keohane, R., & Nye, J. (2017). Power and Interdependence in the Information Age . U.S: Princeton University Press.
(25) قنديل, ن. (2020). التحولات الإقليمية والدولية بعد الربيع العربي. عمان: مركز دراسات الشرق الاوسط.
(26)keohane & Nye, Power and Interdependence in the Information Age , 2017 ,op.cit. , .p85
(27) الدخيل, خ. (2019). التحولات الاجتماعية والسياسية في الخليج بعد الربيع العربي . ابوظبي: مركز الامارات للدراسات.
(28) الحاج صالح, ي. (2018). سوريا من الدولة اللادولة. بيروت: دار الساقي.
(29) سيل،2016،مصدر سابق ،ص 30 .
(30) Raggi, 2000 ,op. cit. ,p61.
(31) الزهراء،2020،مصدر سابق ،ص 82 .

(32) مصطفى، 2018، مصدر سابق ,ص 72.
(33) Hinnebusch, 2015 ,op. cit. ,p149.
(34) بلقزيز, (1999), مصدر سابق , ص 94.
(35) قنديل, 2020, مصدر سابق , ص 94.
(36)keohane, R. (2015). Theory of World Politics. u.s: Princeton University Press.
(37) عباس, ف. (2019), مصدر سابق , ص 108.
(38) وندت, ا. (1999), مصدر سابق , ص 90.
(39)Onuf, 1989, , op. cit. ,p102.
(40) مصطفى، 2018، مصدر سابق ,ص 94.
(41) Hinnebusch, 2015 ,op. cit. ,p157.